

أضواء البيان

@ 253 @ إذا كان في مجيء الآية قبل هذه { وَإِنَّكَ لَـعَلَّاهُ خُلِقَ عَظِيمٌ } على

دعواهم الكاذبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنون . .

ففي هذه الآية تنزيهه صلى الله عليه وسلم مما اشتملت عليه من رذائل ونقائص وافتضاح لهم .
وبيان الفرق والبون الشاسع بينه وبينهم . ففي الوقت الذي وصفه بأنه على خلق عظيم وصفهم
بعكس ذلك من كذب ومداهنة وكثرة حلف ومهانة وهمز ومشى بنميمة ومنع للخير وقتل وتجبر
واعتماد ، وظلم ، وانقطاع زعيم ، عشر خصال ذميمة . ونتيجتها الوسم بالخزي على الأنوف
صغاراً لهم . .

وقد جاءت آيات القرآن تبين مساوئ تلك الصفات وتحذر منها ، ولا يسعنا إيرادها كلها
وتكفي الإشارة إلى بعضها تنبيهاً على جميعها في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ
وَلَا نَسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا
أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللَّسِّ لِقَابٍ رَبُّ السَّمِ الْأَفْسُوقِ بِعَدِ
الْإِيمَانِ وَمَنِ لَّمْ يَتُبْ فَأُوْءِلَائِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا
تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ
لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ
رَّحِيمٌ } . قوله تعالى : { وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ } . ذكر القرطبي

لمعاني المداهنة فوق عشرة أقوال أرجحها الملاينة ، وقد ذكر هنا ودادتهم وتمنيهم
المداهنة ، ولم يذكر لنا هل داهنهم صلى الله عليه وسلم أم لا ؟ وهل يريدون بذلك مصلحة أم
لا ؟ .

وقد جاء بيان ذلك مفصلاً بأنهم أرادوا التدرج من المداهنة وملاينته صلى الله عليه وسلم
معه إلى ما بعدها من تعطيل الدعوة . .

وقد رجح ابن جرير ذلك بقوله : ود هؤلاء المشركون يا محمد لو تلين لهم في دينك بإجابتك
إياهم إلى الركون إلى آلهتهم فيلينون لك في عبادتك إلهك ، كما قال جل ثناؤه : {
وَلَوْ لَا أَن تَذِيقْتُنَاكَ لَفَقَدْنَا كَدِّتَ تَرَكْنَا إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا } ا ه .

ويشهد لما قاله ابن جرير هذا ما جاء في سبب نزول سورة الكافرون .

